# كيف نختار الزوج ؟

للأستاذ محمود يوسف

الأنسان اجتماعى بالفطرة ، وهو فى حاجة إلى البيت الذى يخرج به عن دائرة الفرد المحكوم الى قضاء الفرد الحاكم ، فهو عند ما يتعرف الحياة يود أن ينسلخ عن هذا النظام الذى وضعه أبوه مشتركا بقدر معين مع أمه فيتخيل نفسه حاكما كأبيه له ماله من امتيازات اكتسبها بما يختمه عليه مركزه كرب أسرة . فالفتى عندئذ يريد أن يحاكى أباه وهو فى نظره المثل الأعلى له فهو ألصق الناس به ، لذلك تراه يرقب ذلك اليوم الذى سيتيح له تحقيق هـذا الحلم الجميل ، ومن ثم فهو يروم تلك التى تسعده وتعطر حياته المستقبلة بالحلم الجميل والأمل المنشود .

وهنا تعترض الشاب أولى مشاكل الزواج ، فهو لايعجب بتلك التى تحبذها له أمه أمامه فى عرض الحـديث محاولة بذلك أن تثبت فى نفسه فكرة تعتقد هى فى نفسها الساذجة أنها ترضيه لأنها ترضيها هى فتقول له مثلا : أتعرف ياولدى أن ابنة صديق والدك فلان هى التى حاكت ردائى الجديد بيديها ؟ وأنها تجيد الطهى إجادة تامة حتى لقد استغربت أنا نفسى عند ما قالت لى أمها أن ابنتها هى التى صنعت الطعام بمفردها .

هـذا وغيره من تلك الأمثلة التى تضربها الأم والفتى يستمع اليها وهو لايود أن يتخيل أمامه عروسه فى ثياب المطبخ أو بين يديها رداء منكبة على إتمامه . كلا وهو الفتى العصرى الذى يرغب فتاة تساير نفسه المتجددة وميوله العصرية . فتاة تخطى معه تلك الدائرة التى عاش فيها وتختلف تماما مع تلك الحياة البيتية التى عاش فيها . إنه يريدها من نفس الطراز الذى يشاهده فى السينما و بين سـطور الكتب . إذن فجهود أسرته نحو استمالته إلى واحدة معينة فاشل ، وليس أمامه الا أن يعتمد على نفسه فى هذه المهمة التى يعتقد أنها تختص به وحده . فليبحث إذن ، ومن أين ؟ ؟ أعلى يد الخاطبات ؟ وهل يليق بالرجل الشريف أن يجعل واسطة التعارف بينه وبين أسرة ستتصل بأسرته بأواصر المصاهرة إمرأة مأجورة لمثل هذا العمل ؟ فضلا عما يسم به من زواج الخاطبات لا يلبث أن ينهار عندما يتبين الزوج أن ذلك الخيال الذى خلعته الخاطبة على الزوجة وأسرتها ومكانتهم المالية ونفوذهم وذوى قرباهم إنما هو قصة محفوظة تتلى أمام كل راغب فى الزواج . إذن فالخاطبة ليست الوسيلة الصالحة لمثل هـذه المهمة . وليس أمامه الا أن يعتمد على الظروف التى تهيأ له ، فتراه يتصيد الفرص التى تقربه من الأسر والفتيات ، وهنا تبدو لنا فرصة نحكم فيها على مصير الفتى ، فهو حينئذ عرضة لتيارات مختلفة قد تجرفه الى هاوية عميقة أو تحمله على أكف العادة الى جنة النعيم ، وقد لايقوى الفتى على الصمود أمام عنف التيار وجبروته فيتخبط بين الأمواج والصخور حيث يلقى سوء المصير ، وقد يتغير الاتجاه الذى اندفع فيه حتى تراه يقول

يوما . إنى أعشق الحرية وأحب أن أكون كالطير لا يحد مكانى ذلك القفص الضيق ، فأبعد عن المسئولية . والهموم لاتكاد تجول بخيلتى حتى سرعان ما أنفذها بغير أن تقف فى وجهى مطالب الأسرة وتبعاتها .

هذه هى الاحتمالات التى يصادفها الراغب فى الزواج من أبناء العصر، وهى مشاكل تحتاج الى تنظيم دقيق يتفق مع مانحن عليه من تقاليد ومع مقدار تفهمنا للأشياء ومن رأيى ألا بأس على الشاب الذى يرغب فى لزواج من أن يدقق فى اختيار شريكة حياته ، ولكن ليس له الحق أن يتذرع بهذا السبب لكى يخوض بين الأسر فيتعرف إلى أسرارها ويقف على دقائقها ثم يتركها الى غير رجعة بعد ماعرف من شئونها ماقد يعتبرونه ملكا خاصا لهم، هذا فضلا عما يسببه ترك الفتاة من تأثير على سمعتها وكفايتها ، — فيستحسن إذن أن تحذر الفتاة مبدئيا موافقة الفتى من جميع النواحى التى سيلمسها منها كزوجة وربة أسرة وأم أطفال، فيعرف من أخلاقها وعاداتها وثقافتها ما يؤكد له صفات فعلية ونفسية يستريح اليها ، بعد ذلك يمكن للفتى أن يتعرف الى مايود أن يتعرف اليه من أحوال الأسرة، وان كنت شخصيا لا أرى موجبا لأى إجراء بعد أن تستكمل الفتاة صفاتها المطلوبة .

فى طريقة تفهمنا لمسائل الزواج أخطاء كبيرة لانتنبه اليها فى كثير من الأحيان، فالآباء يفهمون الزواج على طريقتهم القديمة. والأبناء يريدون من الزواج كل ما يلمسون فى العصر الحديث، ولا أحب أن يفهم من كلامى أننى أنبذ المعتقد القديم وأؤيد الايمان بالجديد ، كلا ، ففى الرأى القديم أشياء واجب اتباعها، وهو — وان كان يتجرد فى كثير من الأحيان من العاطفة — غير ملق أى اعتبار الى شؤون القلب الا أنه يتميز الشىء الكثير من الموازنة الصحيحة، فالزواج — كما يفهم عند الآباء — يقوم على العقل . وهو عند الشباب يؤسس على العاطفة ومن النادر أن يجتمع الزواج بالعقل والعاطفة . وحبذا لو قام الزواج على هاتين الصفتين . ولكن الواقع أن الزواج الآن يقوم على العاطفة وحدها ، فالشاب يجرد أن أعجبته فتاة وكان شابا شريفا ومن غير أن يتدبر ميوله ويتعرف حقيقة قلبه يقبل على الزواج، ولكنه سرعان مايتبين أن تلك العاطفة التى أوهمته ان زواجه أمر لابد منه شىء عارض لا يقوم على أساس ، ولا يكون الشهر السادس من الزواج قد حل الا ويكون الزوج والزوجة قد انفصلا .

الزواج شركة حقيقية يجب أن تقوم على أسس ثابتة وقواعد متينة ، ولا يصح أن يقدم الشاب على الزواج قبل أن يتدبر حالته الاقتصادية ومستقبله ومستقبل الأسرة التى ينوى انشاءها، كذلك يجب أن يدقق فى اختيار شريكة حياته بالطرق المشروعة التى يجيزها الشرع وتحللها القوانين .

أما مسألة اختيار العروس فقد أعجبني صديق كانت تجاور منزله فتاة أحب فيها ما رآه منها من أخلاق فاضلة وميول حسنة ، واستطاع أن يكتنه أسرار نفسه فتأكد من ثبوت تلك الفتاة فيها فتقدم الى ذويها بمفرده قائلا لهم : انى أحمل شهادة كذا وصناعتي كذا ، وقد جئت لأخطب ابنتكم لنفسي فارجو أن تتأكدوا من قولي وتجيبوني الى طلبي" ولم يلبث ذلك الصديق أن زف إلى عروسه فى حفل لم يشهده سواه هو وعروسه وسوى والديهما ، وها قد مضى على زواجهما حوالى الخمس سنوات ، مازرت بيته يوما الا واستشعرت السعادة تطل من كل قطعة من قطع أثاثه .

ولست هنا ادعو الشباب الى انتهاج مسلك صديقي فى الخطبة ، ولكنني أرى أنه قد سلك مسلكا طيبا فى تقدمه لآل عروسه ، وكان الحظ بجانبه فوفقه الى أسرة لم ترهقه بطلب المهر الفاحش ولم يرهقها هو بطلب الجهاز الغالي الثمين ، وكذلك لم تعارض الأسرة عندما وقع اختيار الزوج على الابنة الصغرى دون الكبرى ، بل رحبت بالاختيار ولم تقف فى سبيل سعادة ابنتهم لأن أختها الكبرى لم تتزوج بعد .

قبل أن أختم هذه الكلمة التى لاتتسع لكل ما أريد أن أتكلم فيه عن عروض بعض مشاكل الزواج أريد أن أسر كلمة فى أذن شبابنا وفتياتنا قائلا لهم . إن الطلاء الخارجي ليس هو كل شيء فى الناس ، وكثير من الناس يخدعون بالمظهر البراق ويغفلون عن الجوهر فيعود عليهم ذلك بالخسران المبين . فليتدبر الشاب فى فتاته عما اذا كان جمالها الخارجي يقابله جمال فى نفسها ، ولتتدبر الفتاة أو أولياء أمرها فى الشاب الذى يتقدم اليها وهل هو حقيقة كما يبدو فى مظهره ؟

ونصيحتى للذين يريدون الزواج أن يضعوا المستقبل نصب أعينهم ، وأن يعتقدوا أن الزواج هو حياة جديدة سيحياها الفرد مستقلا بذلك عن حياته القديمة ، وأن زوجته هى شطره الآخر الذى سيؤثر الى حد كبير على أبناء جيل المستقبل . أما نصيحتى الى الآباء فهى أن يراعوا ميول أبنائهم ، وأن يذكروا أن الجيل الجديد ينظر بعين لم تنعم بحياة القرن السالف وانما تعيش فى العصر الجديد ، والانسان سائر مع التطور الى الأمام .

وفقنا الله إلى النهوض بأسرنا الى أكناف السعادة الرحبة ، وأخرج من بيننا من يفخر بهم الوطن ويعتز فى ظل راعى الأسرة الأعظم عاهل مصر الكبير الملك فاروق الأول حفظه الله وأيد ملكه ورعاه آمين ،

محمود يوسف
بدار الكتب المصرية